مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 06 (عدد خاص) 2022 ص ص 235-249

معالم تجديد الفكر التربوي عند عبد الحميد بن باديس

The features of the renewal ofeducational thought by Abdelhamid Ibn Badis

ليندة صياد*

جامعة باجي مختار -عنابة- (الجزائر).

البريد الالكتروني: sayadlynda@yahoo.fr

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/03/01	2022/03/27	2022/04/16

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية التربية والتعليم عند العلاّمة عبد الحميد ابن باديس، باعتبارهما من أهم مرتكزات العمل الإصلاحي، ومن أهم السبل التي تنتهجها المجتمعات التي تسعى للتطور والنهوض الحضاري. وعليه فقد تمّ التوصل إلى أن تغيير الواقع وإصلاحه، لن يتحقق بالوسائل المادية فحسب، بل لابد من إقامته على أساس تربوي (التربية الدينية، الخلقية، الفكرية، الاجتماعية)؛ لأن الاهتمام بالفرد وتنشئته تنشئة سليمة، سيؤدي لا محالة إلى نشر الوعي ومن ثمّ القضاء على الجهل والتخلف، حتى نضمن العيش الكريم في ظل الحرية والاستقلال.

الكلمات المفتاحية: *ابن باديس، الفكر التربوي، التعليم، التجديد، الإصلاح*

Abstract: This study aims to highlight the importance of education at Abdelhamid Ibn Badis, as one of the most important pillars of reform work, and one of the most important ways pursued by societies seeking to develop and promote civilization. It has therefore been concluded that change and reform of reality will not only be achieved by material means, but must be established on an educational basis (religious, moral, intellectual and social education);Because caring for and raising the individual properly will inevitably spread awareness and thus eliminate ignorance and underdevelopment, so as to ensure a decent life in freedom and independence.

Keywords: *Ibn Badis, Educational Thought, Education, Renewal, Reform.*

* **المؤلف المرسل**

مقدمة:

إن الشرط الأساسي الذي تدور في فلكه قوة المجتمعات وقيام الحضارات، هو الاهتمام بالنظم التربوية والتعليمية، وذلك لأنها تمد الفرد بالقيم، وتزوده بالمعارف والخبرات، وتنمي قدراته ومهاراته.ويعدّ عبد الحميد ابن باديس واحدا من أبرز العلماء الجزائريين الذين كرّسوا حياتهم للإصلاح الاجتماعي والديني والسياسي والتربوي. وعلى هذا الأساسفإن أصالة التفكير التربوي عند ابن باديس تتجلى في نظرته الواقعية، والعمل بما تقتضيه الظروف التي كان يعيشها الشعب الجزائري إبان الاستعمار، فكرّس كل جهوده لإصلاح حال المجتمع من خلال اتباع أسلوب التربية والتعليم لمحاربة مظاهر التخلف والاستسلام لليأس والظروف المحيطة، وتهيئة الأجيال الناشئة لمواجهة تلك الأوضاع بعد إعدادهم فكريا ونفسيا وسياسيا، من منطلق أن النضال يتطلب الاستعداد والتخطيط المسبق، ولا يكون بشكل عفوي وتلقائي. فما هو مفهوم التربية عند ابن باديس؟ وماهي خصائص المنهج الدراسي؟ وفيما تمثلت الطرائق التعليمية والأساليب التربوية التي انتهجها؟

وقبل الإجابة على هذه المشكلات، لابد من تحديد أهداف دراسة هذا الموضوع، ومن أهمها:

- إبراز جهود عبد الحميد ابن باديس في نشر الوعي والدفاع عن هوية وثوابت المجتمع الجزائري، بعدما حاول المستعمر الفرنسي طمسها، وذلك من خلال انتهاج طريق التربية والتعليم.

- تجاوز النظرة الضيقة التي تحصر أهداف التعليم في التحصيل المعرفي، إلى النظرة التي تسعى إلى تكوين جيل قادر على تغيير الواقع وتخليص المجتمع من الهيمنة الاستعمارية؛ لأن التعليم عند ابن باديس ليس مجرد تلقين للمعارف من غير أن يكون

لذلك أساس فكري أو غاية تربوية واجتماعية، وإنّما يعدّ التعليم رسالة تربوية هادفة غايتها بناء الذات الإنسانية، وإعداد الفرد للحياة التي تنتظره.

أما عن المنهجية المتبعة في هذا البحث فقد تمثلت في المنهج الوصفي الذي يشتمل على الوصف والتفسير والتحليل؛ لأن طبيعة الموضوع تقتضي إبراز أهمية التربية على القيم ودورها في إصلاح حياة الفرد والمجتمع، وذلك من خلال الوصل بين القيم والمناهج التعليمية.

1. التعريف بابن باديس: نشأته وتعليمه

ولد عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس في ليلة الجمعة الرابع من شهر ديسمبر سنة 1889م. بمدينة قسنطينة في أسرة ذات جاه وشهرة بالعلم والدين. والده من حملة القرآن الكريم ومن أعيان مدينة قسنطينة، وقد كان عضوا بالمجلس الجزائري الأعلى والمجلس العمالي لعمالة قسنطينة. (رابح، 2003، صفحة 27)

لم يلتحق عبد الحميد ابن باديس بالمدارس الفرنسية كغيره من أبناء العائلات الكبيرة في ذلك الوقت؛ لأن والده فضّل أن يربيه تربية إسلامية خالصة. واختار له طريق العلم حيث انتقى له معلمين يجمعون بين العلم والتقوى والاستقامة الخلقية ومنهم الشيخ "حمدان لونيسي" والأستاذ "محمد النخلي" القيرواني والأستاذ "محمد الطاهر بن عاشور". ومن الأساتذة الذين تلق عليهم العلم بشكل مباشر، وإنما عن طريق آثارهم وكتاباتهم الشيخ "محمد عبده" الذي تأثر بأفكاره وآرائه الإصلاحية عن طريق مجلة «المنار» التي كان ابن باديس ينقل منها أحيانا بعض المقالات وينشرها في مجلة "الشهاب". (رابح، 1974، صفحة 169).

الشيخ عبد الحميد بن باديس علم من أعلام الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر، في العصر الحديث. كما يُعدّ رائدا من رواد التجديد، حيث لعب دورا بارزا في بعث النهضة الثقافية العربية، بعد أن قضى الاستعمار الفرنسي على معظم مراكز الثقافة

العربية وذلك عند استيلائه على الأوقاف الإسلامية التي كانت تمول تلك المراكز. وفضلا عن ذلك عمل على بعث الدّين الإسلامي بعثا جديدا خاليا من البدع والخرافة والشعوذة التي لحقت به في عصور التأخر التي تعرض لها العالم الإسلامي في مشرقه ومغربه على حدّ سواء. (رابح، 2003، صفحة 8).

لهذا كان العمل الذي خصص له الجزء الأكبر من حياته هو التربية والتعليم والإصلاح الديني والاجتماعي، فلم ينعزل عن مشاكل مجتمعه وعن التيارات الفكرية والسياسية التي تتصارع في عصره. "وظل ابن باديس ينبّه الأمة الجزائرية إلى الخطر الذي تجسده حركات «التصوف الخادع» من الوجهتين الدينية والاجتماعية، واتخذ من جريدة "المنتقذ" التي أدارها في سنة 1926 لسان هذه الحملة ضد الطرقية. وعندما تنبهت السلطات الفرنسية إلى خطر هذا المصلح الذي بدأ يهاجم أعوانها، أصدرت قرارا بتعطيل هذه الجريدة بعد أن صدر منها ثمانية عشر عددا". (أحمد، 2001، صفحة 114) لكن سرعان ما أصدر جريدة "الشهاب" لأن القانون يسمح بذلك، فخفف اللهجة واتبع أسلوب المرونة السياسية التي سمحت له الإبقاء على جريدة "الشهاب" بين سنة 1926 إلى 1940 سنة وفاته. (أحمد، 2001، صفحة 115)

وحتى نتعرّف على الخطوط الرئيسية في تفكير ابن باديس لابدّ من التعرف على شخصيته. فهو رجل اجتمعت فيه جوانب متعدّدة، أهمّها اقتران التعليم بالتربية، والعلم بالعمل به، والفكر بالممارسة في الميدان؛ أي أنه رجل قد جمع بين العلم والعمل به في المجالات الاجتماعية والسياسية والتربوية.لقد اختار ابن باديس في نشاطه الإصلاحي التعليم أسلوبا من أساليب المقاومة والتحدّي،ومواجهة سياسة المستعمر الهادفة إلى فك الوحدة، والقضاء على المعالم الثقافية والقيم الدينية. وذلك بغية فصل المجتمع عمّا يربطه بثقافته ودينه ولغته. (فضيل، 2010، صفحة 65)

"لقد تأثّر عبد الحميد بن باديس أكثر ما تأثر في تكوين شخصيته، وفي أعماله الجليلة من أجل نهضة الشعب الجزائري، وتربيته لتلامذته بالقرآن الكريم الذي كان دائم التلاوة له والدراسة لمعانيه، وأسراره والتفقّه في أحكامه". (رابح، 2003، صفحة 63) ومن هذا المنطلق استطاع في ظرف أقل من عشرين عاما أن يكوّن شبكة من المدارس التي تخرج منها تلاميذ ومعلّمين وأساتذة. كما كوّن إطارات الثقافة العربية تكوينا معتبرا، جمع بين الثقافة العربية الإسلامية التقليدية، وبين الثقافة العصرية. لهذا كانت نظرته للمستقبل أكثر عمقا وشمولية، من نظرة بعض السياسيين والمصلحين الآخرين، خاصة وأنه اختار العمل على صعيدين مكملين لبعضهما؛ الصعيد الفكري النظري، والصعيد الواقعي العملي. (بوصفصاف، 2010، صفحة 30)

2. مصادر فلسفة ابن باديس التربوية

هناك منبعان رئيسيان لفلسفة ابن باديس التربوية:

الأول: هوالدين الإسلامي بكل ميراثه الروحي والثقافي والحضاري والأخلاقي.

الثاني: هو واقع المجتمع الجزائري بكل مشاكله وأمراضه وتخلفه، وهو الذي كرس له الشطر الأكبر من حياته لتغييره تغييرا جذريا في كافة المجالات.

يذهب ابن باديس إلى أن التربية النابعة من العقيدة الصحيحة الخالية من البدع والخرافة هي أساس الإصلاح والنهوض بالمجتمع الجزائري وتقويم أخلاقه، وكذا النهوض بالمجتمعات الإسلامية كافة حتى تتمكن من كفّ المستعمر عن احتلال أوطانها ونهب ثرواتها.وهذا ما دعا إليه المصلحين المعاصرين أمثال "محمد عبده" و"رشيد رضا" و"محمد إقبال". ولذلك يجب العناية بالتربية وإصلاح التعليم؛ ليكون تعليما مفيدا يؤتي ثماره في تكوين الأجيال الناشئة تكوينا علميا وأخلاقيا. (رابح، 1974، صفحة 240)

ولم يكتف ابن باديس بتفسير القرآن وتعليمه للناس في المساجد فقط، بل تعداه إلى الجمعيات والمؤسسات التربوية والخيرية، وأبرزها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

3. مفهوم التربية عند ابن باديس

التربية في نظر ابن باديس "هي ما يحدثه النشاط التعليمي من تغيير إيجابي في جوانب شخصية المتعلم، في فكره ولسانه ووجدانه وسلوكه، بحيث يجعله يتلقى تربية شاملة تعزز ارتباطه بدينه ولغته، وتعمق شعوره بالانتماء إلى الوطن والتاريخ، وتجعله يحافظ على شخصيته". (فضيل، 2010، صفحة 65) وهذا المعنى محدّد في القانون الأساسي الذي وضعه ابن باديس لتأسيس جمعية التربية والتعليم في قسنطينة سنة 1930، إذ ورد فيه ما يلي: «بني القانون الأساسي للجمعية من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين وبناتهم بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم، ومن الوجهة التعليمية على تثقيف أفكارهم بالعلم باللسانين-العربي والفرنسي-وتعليمهم الصنائع». (فضيل، 2010، صفحة 65)

ومن أهم مميزات فلسفة ابن باديس التربوية هي كونها فلسفة عملية تربط بين النظرية والتطبيق، بمعنى أنه لا ينبغي في أية مرحلة من مراحل التعليم أن ينفصل ميدان التعليم النظري عن ميدان التطبيق العملي، ومن ثمّ يرى أن تخرّج المتعلمين من المدارس والمعاهد، مرهون بإتقانهم حرفة من الحرف اليدوية يعيشون منها حتى لا يكونوا عالة على المجتمع. ومعنى ذلك أنه يربط بين التربية والتعليم ويجعلهما متلازمين؛ لأن التعليم عند ابن باديس ليس مجرد تلقين للمعارف من غير أن يكون لذلك أساس فكري أو غاية تربوية واجتماعية، وإنّما يعدّ التعليم رسالة تربوية هادفة غايتها بناء الذات الإنسانية، وإعداد الفرد للحياة التي تنتظره؛ لأن المحتوى المعرفي الذي يقدّم للمتعلمين هدفه إكسابهم الصفة الأدائية والسلوكية، وتربية الإنسان تربية شاملة ليتم تحصيل الأثر الفكري والأخلاقي والاجتماعي. (فضيل، 2010، صفحة 66)

ويمكن تلخيص أهداف التربية والتعليم عند ابن باديس فيما يلي:

- إحياء اللغة العربية والثقافة الإسلامية في البلاد

- تقوية الشعور بالشخصية الإسلامية الجزائرية والدفاع عنها
- تطهير الدين من الخرافات والبدع
- المحافظة على التراث العربي الإسلامي في الجزائر
- العمل على تحرير الجزائر من سيطرة الاحتلال الفرنسي.(رابح، 2003، صفحة 153)

4. خصائص المنهج الدراسي عند ابن باديس:

يتميّز التعليم الباديسي بطابعه الديني واللغوي يقوم على دراسة العلوم الشرعية والعلوم التي لها صلة بها، وكذا الأدب العربي (شعر ونثر) والتاريخ والجغرافيا والرياضيات. وقد سلك منهج مدرسة التجديد الإسلامي التي ظهرت في العالم الإسلامي والعربي في القرن الثامن عشر. وكان يعمل على بعث نهضة إسلامية شاملة بسبب الاحتلال الأجنبي لبلادهم الذي منع تدريس الثقافة العربية الإسلامية في المدارس الفرنسية الخاصة بالجزائريين. (ابن باديس، 1968، صفحة 300)

ويجب الإشارة إلى أن عملية وضع منهج دراسي لأية مرحلة من مراحل التعليم يتطلب أساسين يجب مراعاتهما في التربية الحديثة وهما:

1.4 الأساس السيكولوجي: وهو الصحة النفسية للتلميذ وتتطلب مراعاة قدراته العقلية، ودرجة استعداده للتعلم، وخصائص نموه وحاجاته، وكيفية تعلّمه.

2.4الأساس الاجتماعي: ونعني به تراث المجتمع الثقافي وقيمه ومعاييره، ومشكلاته وآماله، وأهدافه الحاضرة والمستقبلية. (ابن باديس، 1968، صفحة 302)

يراعي ابن باديس في مناهجه الدراسية هذين الأساسيين التربويين، إذ اهتم بفهم نفسية المتعلمين وتفاوتهم في درجة الاستيعاب، لاختلاف قدراتهم العقلية هذا من جهة، ومن جهة أخرى اهتم بالتراث الثقافي والحضاري للمجتمع الجزائري والمحافظة على العروبة والإسلام والوطن. ولم يكن الشيخ عبد الحميد شديد الاهتمام بطرق التدريس التي كان

علماء التربية في عصره يجرون تجاربهم وأبحاثهم عليها لاختيار النوع الأفضل منها وذلك لسببين:

الأول: هو أنه كان مشغولا بنشر اللغة العربية وبعث الدين الإسلامي بين الجزائريين بأية طريقة كانت خشية اندثارهما في الجزائر.

الثاني: هو اعتبار ابن باديس من رجال التربية التقليدية الإسلامية بصفة عامة مع تفتحه على تطورات العصر، جعلته يبتكر لنفسه أسلوبا خاصا به في التربية، وطريقة خاصة به في التدريس. (ابن باديس، 1968، صفحة 308)

وما يمكن استخلاصه من خصائص المنهج الدراسي، هو حرصه على تعليم اللغة العربية؛ لأن الاحتلال الفرنسي كان يريد فرنسة الشعب الجزائري وإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية، وأن القضاء عليها هو السبيل الوحيد لقطع الصلة بين الشعب الجزائري وبين القرآن الكريم.

3.4 المواد الدراسية في منهجه

- "دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف، باعتبارهما المصدرين الأساسيين اللذين تستمد منهما أحكام الشريعة وأصول التوحيد، وتعتمدان في التوجيه الأخلاقي والتربوي (وتتضمن دراسة القرآن أحكام القراءات والتجويد، والتجويد، والتفسير، وما يتصل بعلوم القرآن).

- دراسة العقائد والعلوم الشرعية (توحيد، فقه، فرائض، أصول فقه).

- دراسة اللغة العربية وفنونها (نحو، صرف، بلاغة، أدب، عَرُوض، صناعة الإنشاء، والتدريب على الخطابة).

- دراسة المواد الاجتماعية (الأخلاق، التاريخ الإسلامي، الجغرافيا).

- دراسة المواد التي تربي العقل وتنمي القدرة على الاستدلال (المنطق، الحساب، الهندسة، الفلك، وعلم الطبيعة)".(فضيل، 2010، صفحة 68)

وأهم ما يلاحظ على منهج ابن باديس الدراسي أنه لم يكن يوجه اهتمامه للجانب المعرفي فحسب، بل كان اهتمامه الأكبر موجه إلى تكوين شخصياتهم تكوينا متكاملا في جوانبها المعرفية والخلقية والذوقية، والاجتماعية، والوطنية، والدينية. وقد أكد الشيخ "البشير الإبراهيمي" ذلك فقال: «كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وعبد الحميد ابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة في عام 1913 في تربية النشئ هي ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل. فتمت له ذلك في الجيش الذي أعددناه من تلاميذنا». (الإبراهيمي، 1997، صفحة 280)

ومعنى ذلك أن ابن باديس لم يكن يهتم بحشو العلم والمعرفة في رؤوس التلاميذ أو تحصيل الكم الهائل من المعلومات، بقدر ما كان يهتم بتكوين شخصياتهم عن طريق التربية الشاملة، وهي التربية العلمية من خلال التدريس لتلامذته، والتربية الأخلاقية بواسطة ضرب المثل والقدوة الصالحة لهم، والتربية السياسية والوطنية لعامة أفراد الشعب عن طريق الصحافة الوطنية التي أنشأها في الجزائر، ثم عن طريق المواقف الجريئة التي كان يقفها في سبيل الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية ضد الإدارة الاستعمارية وعملائها.

كما دعا إلى تعلم العربية بهدف إحيائها لاستكمال مقومات الشخصية الوطنية، دعا كذلك إلى تعلم الفرنسية بهدف الاستعانة بها على امتلاك ناصية التقنية والعلوم التي يقوم عليها الاقتصاد الحديث، والتي تمكن البلاد المتخلفةمن تحقيق التقدم وتحسين مستواها المعيشي. وحاجتنا إلى تعلّم اللغات الأجنبية ضروري اليوم بسبب المصالح التي تربط بيننا وبين أمم أخرى. (الميلي، 1980، صفحة 96)

"واهتم ابن باديس بتعليم المرأة الجزائرية ولكن على أساس من المثل الدينية والقومية والأخلاقية، ورفض أن تتعلّم الفتاة الجزائرية تعليما أجنبيا محضا؛ لأن ذلك في نظره

يبعدها عن الإحساس الوطني الذي هو ضروري لخلق جيل يحفظ أصله ولا يتنكر لأمته". (الخطيب، 1985، صفحة 138)

ومن وسائل الترغيب لدفع البنات إلى التعليم العربي هو جعل تعليمهن مجانيا، من أجل استقطاب أكبر عدد من البنات للتعلم، وأيضا لوعيه بدور المرأة المتعلمة في بناء المجتمع، وإنشاء أبناء متشبعين بالروح الإسلامية التي تجعلهم قادرين على اتخاذ القرار لإنقاذ الوطن الضائع؛ لأن المرأة الجاهلة لا يمكنها أن تنشئ جيلا متماسكا، ومن أجل ذلك حرص على ضرورة تعليمها. وحين نتتبع آراء ابن باديس فيما يتعلق بالمرأة نلاحظ أنه كان ينظر إلى مهامها نظرة مقاصدية؛ فهي تتعلم العلوم الشرعية لتنضبط بها وتحمي أبناءها من التغريب، وتتعلم التمريض وكيفية الدفاع عن النفس في حال الحرب لتكون في صفوف الجيش.(شيدخ، 2010، صفحة 80)

5. الطرائق التعليمية والأساليب التربوية

لم يحدّد ابن باديس طريقة معينة ينتهجها عند تدريسه؛ لأن المناهج قد تتنوع وتتعدّد، والمعلّم الموهوب الذي يدرك مستوى تلاميذه والغاية المستهدفة من درسه هو الذي يختار الطريقة الملائمة، ويبتكر الأسلوب الفعال الذي يحرّك فاعلية المتعلّمين ويدفعهم إلى التعلم والمشاركة في الحوار. لكنه طرح جملة من المسائل التربوية هي من صميم توجهات التربية الحديثة في مجال المناهج. وقد تأتى له ذلك بعد نقده الموضوعي لأساليب التعليم التي كانت سائدة في عصره في المعاهد الإسلامية الكبرى مثل "الأزهر والزيتونة والقرويين".(فضيل، 2010، صفحة 68)

"ومن الأساليب التي انتقدها بشدّة وأرجع إليها أسباب الجمود الفكري الذي يتخرّج به المتعلّمون:

- أساليب التلقين والتحفيظ، والجدل النحوي العقيم الذي لا يفيد الطالب في حياته الفكرية، ولا ينمي معارفه العلمية، ولا يكسبه خبرة تنفعه في مستقبل حياته. والأمور التي انتقدها كثيرا هي:

- الاعتماد الكلي على الكتب وأقوال المؤلفين، والنظر إليهاكما لو كانت مسلمات لا يجوز مناقشتها.

- عدم استخدام الفكر فيما يعرض من مسائل ومعلومات، فكأن مهمة التعليم هي حشو أذهان الطلاب بكثرة المعلومات التي تزخر بها الكتب.

- ضعف العلاقة التربوية التي تربط المعلّم بالمتعلّم.

- العدول عن النظر والاستدلال المأمور بهما كتابا وسنة". (فضيل، 2010، صفحة 68) (يعيب ذلك على الطلاب وعلى المدرسين الذين لا يوجهون طلابهم إلى استخدام فكرهم).

أما طريقة الشيخ عبد الحميد ابن باديس في التعليم فقد كانت طريقة عملية تجمع إلى جانب النظريات العلمية لمختلف العلوم التي كان يدرّسها لتلاميذه الجانب التطبيقي لتلك العلوم، والدليل على ذلك الشواهد التي كان يضربها لتطبيق قاعدة نحوية أو بلاغية، أو خلقية، أو أدبية، كان يختارها من الشواهد التي تتضمن تربية دينية أو خلقية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو تتضمن عبرة من عبر الحياة التي تدعو إلى التأمل والتفكير، فيما وصلت إليه حالة المسلمين من استعمار بلادهم، وتسلط الأجانب على حرياتهم وأرزاقهم.(رابح، 2003، صفحة 72)

وقد كان كثير التركيز على الجانب الأخلاقي في تربية تلاميذه وإرشاد مواطنيه. حيث طبق التوجيهات التربوية الواردة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ إذ كان يعامل تلاميذه معاملة حسنة مليئة بالحنان والعطف، فهو الذي يوقظهم إلى صلاة الفجر، ويؤمهم في الصلاة، ويعود المريض منهم، ويعين المحتاجين منهم إلى الإعانة سواء

أكانت مادية أو معنوية، الأمر الذي أدّى إلى إيجاد رابطة قوية بينه وبينهم.(رابح، 2003، صفحة 70)

6. مكانة العلم والعلماء في مشروعه التربوي

للعلم في نظر ابن باديس مكانة ودورا فعالا في نهضة الأمم والشعوب، ويعتبر العلم مقدما على العمل سواء في الأمور الدينية أو الدنيوية؛ لأن من دخل في العمل بغير علم سيقع لامحالة في الخطأ والضلال وفي هذا السياق يقول: «العلم قبل العمل، ومن دخل في العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال ولا على عبادته من مداخل الفساد والاختلال». (رابح، 1974، صفحة 243) وقد استنبط هذا الحكم من معنى الآية الكريمة:﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مسؤولا** ﴾[الإسراء:36] فالقرآن في هذه الآية ينهانا عن اتباع ما ليس لنا به علم سواء في القول أو الفعل أو الاعتقاد.

ولا يكون الإصلاح مثمرا إلاّ إذا بُني على أسس العلم، والعلم لا مردودية له ما لم يتجسّد في أعمال ومشاريع ملموسة. ولمّا كان ابن باديس رجل ميدان ونتائج، يهمّه أن يرى أفكاره تنبت على أرض الواقع ليتعهدها بالعناية ويتابع نمائها. (عشراتي، 2005، صفحة 235)

وتعتبر المدرسة مصنعا يعنى بتغذية عقول الأجيال الناشئة، وإعداد القادة والمفكرين الذين يقومون بعملية التغيير الثقافي والحضاري في المجتمع، ومن هنا يجب الاهتمام بالتربية وإصلاح التعليم ولن يتحقق ذلك إلاّ إذا صلح العلماء. يقول ابن باديس: "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإن العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح، صلح الجسد كله وإذا فسد، فسد الجسد كلّه. وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام وعملهم به، وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم. فإذا كان علماؤهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل،

فكذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم ولن يصلح العلماء إلاّ إذا صلح تعليمهم". (رابح، 1974، صفحة 241)

وكان الإمام ابن باديس يرى أن المسلمين لن ينهضوا بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إلاّ إذا كانت لهم قوة، ولن تكون لهم قوة إلاّ إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتخطط على أسس علمية سليمة في كافة مجالات الحياة. فلم تعد تنفع الوحدات المبعثرة في وقت تتكتل فيه المجتمعات على أساس الاتفاق في الإيديولوجية الفكرية والأنظمة الاقتصادية. وبما أن ابن باديس يقرن القول بالعمل، قام بتكوين جماعة منظمة في الجزائر تؤمن بتحرير الجزائر وتحقيق سيادتها في إطار حضارتها العربية الإسلامية، وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. (رابح، 1974، صفحة 219)

خاتمـــــــــــــة

نستنتج من خلال كل ما سبقأن العلاّمة عبد الحميد ابن باديس ركز عمله في التربية والإصلاح الديني والاجتماعي على محاولة إصلاح ضمير الجزائريين، ونفوسهم وأخلاقهم حتى تكتمل الشخصية الإنسانية في جانبها الأخلاقي ثم في باقي الجوانب. ومن أجل ذلك لم يهتم بالاستعمار كظاهرة سياسية معزولة عن ظروفها الاجتماعية ومعطياتها الاقتصادية ومناخها الفكري، بل جعل أكبر اهتماماته في نشر التعليم وبث الوعي بين فئات الشعب، بهدف التحضير لبناء مجتمع متعلم، يعي أفراده حقائق الأوضاع التي تواجههم فينهضون لتغييرها لتحقيق السيادة والاستقلال.

ومن أهم مميزات فلسفته التربوية والتعليمية، هو ربطه بين النظرية والتطبيق، بمعنى أنه لا ينبغي في أية مرحلة من مراحل التعليم أن ينفصل ميدان التعليم النظري عن ميدان التطبيق العملي، ومن ثمّ يرى أن تخرّج طلاب العلم من المدارس والمعاهد، مرهون بإتقانهم حرفة من الحرف اليدوية يعيشون منها حتى لا يكونوا عالة على المجتمع. وهذا ما يؤكد ربطه بين التربية والتعليم وجعلهما متلازمين.

ونظرا للتدهور الأخلاقي الذي عرفه عالمنا المعاصر، بسبب الثورة التكنولوجية وهيمنة قوى الانفتاح والعولمة، وما ترتب على ذلك من تأثيرات على منظومة القيم، لاحظنا غياب بعض القيم الأخلاقية وظهور أخرى لا تتناسب مع قيم ومعتقدات مجتمعاتنا العربية والإسلامية، الأمر الذي أدّى إلى التقليد غير العقلاني للغرب وقيمه. وفي ظل هذه الظروف أضحى من الضروري الإسراع إلى تجديد وتطوير المناهج التعليمية بحيث يصبح للقيم مساحة كبرى في المقررات الدراسية، لأن التعليم هو المنطلق الأول لإصلاح الإنسان، ومن ثمّ إصلاح القيم.

قائمة المراجع

أحمد الخطيب. (1985). *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

تركي رابح. (1974). *الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

تركي رابح. (2003). *الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة* (الإصدار ط2). الجزائر: موفم للنشر.

حجيبة شيدخ. (2010). عناية الإمام بن باديس بقضايا المرأة وجهوده في النهوض بها. *مجلة الوعي*(ع1).

سليمان عشراتي. (2005). *ابن باديس "رؤى وقراءات في تفاصيل المسيرة*. الجزائر: دار ألف للنشر والتوزيع.

صلاح زكي أحمد. (2001). *أعلام النهضة العربية الإسلامية* (الإصدار ط1). القاهرة: مركز الحضارة العربية.

عبد الحميد بن باديس. (1968). *آثار الإمام بن باديس* (الإصدار ط1). الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية.

عبد القادر فضيل. (2010). الفكر التربوي الباديسي. *مجلة الوعي*(ع1).

عبد الكريم بوصفصاف. (2010). إسهامات معمد عبده وعبد الحميد بن باديس في قضايا عصرهما. *مجلة الوعي*(ع1).

محمد البشير الإبراهيمي. (1997). *آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي* (الإصدار ط1). مصر: دار الغرب الإسلامي.

محمد الميلي. (1980). *ابن باديس وعروبة الجزائر* (الإصدار ط2). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.